يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعي (تابع)

فلمَّا سمعت يهوديت كلام اخيها في حقّ المسيحيين اضطربت افكارها وخيَّمت على قلبها غيوم الهموم اذ انها كانت اجتمعت بكثيرين من المتنصرين في بيروت فوجدتهم دمثي الطباع مهذَّبي الاخلاق. وكانت قهرمانتها دوروتيا مسيحيَّة وكذلك جملةٌ من عبيد دار ابيها... فيا تُرى لو عرف يوسف اخوها بهم ماذا يفعل... فارادت ان تصرف عنهم فكرهُ فقالت:

اراك تحب الرومانيين وقياصرتهم وتريد ان تكسب رضاهم

— لا حيَّاهم الله ولا بيَّاهم. وكيف احبُّ رومية وملوكها وهم يوغرون منَّا الصدور ويستثيرون دفين الاحقاد. قد اشهروا لاورشليم مدينتنا المقدَّسة حربًا اثيمة ولكن لي الثقة الوثيقة انَّهم لا ينجحون في ما نووا لانَّ يمين العلي تصونها. وكان نيرون ارسل قسمًا من جندهِ ليناجزوها القتال فاثابهُ الله بأن قوي عليهِ احد مماليكهِ. فهذا جزاء من يمدُّ يدهُ الى بنت صهيون ومدينة داود. ومذ ذاك الحين لم تذق رومية هناء في امورها. ففي سنة واحدة تنازع ولايتها ثلاثة قياصرة. وقد رأيتُ قبل بضعة ايَّام قومًا من الاوباش يجرُّون في شوارع رومية جسم ڤيتاليوس الذي كانوا حيَّوهُ سابقًا باسم القيصر

قال هذا واطرق واجمًا ثم اردف قولهُ:

وفي غد ذلك اليوم بايع مجلس الشيوخ لڤسپسيان الذي كان الجند سبقوا فنهبوا دارهُ قبل يومين. ولا ريب ان سينالهُ ما نال نيرون لانهُ اراد خراب مدينتنا اورشليم وقد رأيتهُ آخرًا في الاسكندريَّة فتأكدت انَّ ايَّامهُ معدودة

وكانت يهوديت في غضون ذلك ساكتةً متحيِّرة وهي تفكر في ما يغلي في قلب اخيها من مراجل العداوة للرومانيين حتى خافت من ان يبلغهُ ما فعل يهود بيروت في الليلة البارحة اذ شاركوا الاهلين بزينة حيِّهم لمَّا بلغهم فوز ڤسپسيان الذي استعبد الوفًا من اهل جلدتهم

أمّا يوسف فبقي هنيهةً غائصاً في افكارهِ ثم عاد الى فكاهة طبعهِ وقال لشقيقتهِ: استميحكِ عذرًا يا اختاه فاني أسمعتُكِ كلاماً رنّق صفاء عيشكِ فاحفظيهِ كسرّ ولا تُعلمي بهِ احدًا حتّى اباانا يعقوب نفسهُ فان والدي رجل تاجر لا يفقه غير معاملات البيع والشراء فاذا بلغهُ ما قلت حسبني معتوهاً . . . وقد قلتُ ما قلتُ امامكِ لاني لا اخفي عنكِ شيئاً واز يدك علماً باني انتظمتُ بسلك الذين يُدعَون بالغيورين الذين هَمُّهم ان يعيدوا لمدينة داود رونقها القديم . . . والآن سَرّي عنكِ ودعينا نقضي أيامًا قليلة في السرور والفرح قبل ان افارقكِ لتتمّة مقاصدي

قال هذا ثم قبّل اختهُ في جبينها وخرج يتنغّم باغنيّة يونانيّة فبقيت يهوديت في حجرتها وحدها تردّد في فكرها ما سمعت من اخيها . . . فهذا الاخ العزيز الذي كانت تتوق الى نظرهِ قد رأتهُ في حالة لم تخطر لها في بال فانّها ما كانت لتظنّ انهُ واغر الصدر على رومية واهلها . وان كانت في قلبهِ حزازات مثل هذه كيف ترجو ان يتمّ فرحها بذلك الضابط الروماني الذي خلب عواطفها ؟ او يسمح اخوها باقترانهما البتّة ؟

الفصل الخامس

في الحرب

مرّت الأيام وانقشعت عن قلب يوسف همومهُ بما لقيَهُ من اللطف واماثر الحبّ بجوار شقيقتهِ التي كان يصافيها الوداد ويخلص لها الاخاء منذ نعومة اظفارهِ فكان يقضي بصحبتها ساعات اشهى لديهِ من شهد العسل يناجيها في احوالهِ ويقصّ عليها اخبارهُ في أمّهات المدن ويصيخ اليها سمعاً ثم تحدّثهُ هي بامورها وما جرى لها في غيبتهِ الطويلة. وقصارى القول انّ الشقيقين كانا يعدّان ايّام التلاقي اقصر من طرفة العين لما يرشفانهِ من كؤوس الهناء حتى انهُ خُيّل ليهوديت انّ اخاها لم يَعُد يفكّر في الفراق فقالت لهُ يوماً وهي تداعبهُ :

يَسُرُّني أن ارى تلميذ الفلاسفة يرضى بالسكنى في بيروت وان لم يلقَ فيها من ضروب الملاهي والالعاب ما لقيَهُ في اثينة . وكأني بك لم تنفر من سماع لهجتنا اليونانيّة التي إخالك تحسبها رطانةً لمّا تقابلها بطلاوة كلام السيّدات اللطيفات في عاصمة اليونان . . . هيا اسرع بالرحيل لئلّا يأخذ لسانك على كلامنا البربريّ وعاداتنا الهمجيّة

فكان يوسف يبسم لهذا القول ضاحكاً فيجيب اختهُ :

اصبتِ يا أُخَيَّة فانَّ هذا هو الاسبوع الثالث مُذ وطئتْ قدمي ساحل بيروت وها قد قرب شهر شباط فكان الاحقَّ بي ان اهجر الديار لكنَّ لطفك سباني فثبَّطني عن المسير . ثم انَّ والدنا يعقوب لم يَعُد حتى الآن . . .

فما سمعت يهوديت اسم والدها حتى قطَّبت وكلح وجهها لأنَّها كانت ترى في تأخرهِ داعياً للقلق لاسيَّما انهُ لم يُنفذ اليها برسالةٍ منذ بضعة اسابيع . فشعر يوسف بتوانيها وندم على ما فرط منهُ فاردف قولهُ :

لا تقلقي يا عزيزتي لتأخر والدنا في القدس الشريف ألم تفيديني عنهُ انهُ يريد حضور عيد الفصح في اورشليم . واما رسائلهُ فان شاء الله تردنا عمَّا قليل

قال يوسف هذا ليطمّن اختهُ لكنهُ في حقيقة الامر كان مشغول الفكر كاسف البال لا يعلم ماذا يحلُّ باورشليم وسكَّانها . اجل انَّ المدينة مذ تبوَّأ ڤسپسيان سُدَّة الملك قد أُرخي عنها الخناق وخفَّت اهوال الحصار . ولكن أترى انَّ هذه الهدنة تدوم زمناً طويلاً . تلك كانت الهواجس التي تخالج فكر يوسف فاحبَّ ان يكتمها عن اختهِ

قالت يهوديت : انَّ كلامك يا اخي يُسرّني عني بعض همومي لكنهُ لم يسكن بلبالي تماماً . وكاني احسُّ بالدهر واقفاً لنا بالمرصاد يتهدَّدنا بقوارعهِ . وممَّا زاد قلقي حلمٌ احتلمتهُ في بعض ليالي السابقة . خُيِّل لي اني في مرسح الالعاب والقوم يضجُّون باصوات الفرح ويهلّلون بينما كان المصارعون يقاتلون الضواري في ميدان المرسح . وانا لكذلك واذا بأسد هائل اسود برز للقتال وهو يزأر وبازائهِ والدي العزيز يحاول ردَّهُ عنهُ . فذُعرتُ وكاد قلبي يطير شعاعاً لاسيما اذ رأيتُ بقعاً من الدم على الحضيض فصرختُ صرخةً افاقتني من نومي وانتبهتْ لها دوروتيا أَمَتي فبادرت اليَّ لتسكن جأشي . لكنَّ فرائصي تُرعد كلَّما تصوَّر لي هذا الوحش الضاري . . .

— ما هذا يا أُخَيَّتي اتصدّقين انتِ ايضاً اضغاث الاحلام . . . دعي عنك هذه التوهّمات . اما انا فقد نبذت مثل هذه الخرافات فلا اعيرها بالًا . وكم من مرَّةٍ رأيتني في الحلم اقلّب ركام الذهب فما كنت عند الصباح اغنى مني في المنام ولا ارى أسدكِ الّا كدانيري

*

وفي تلك الغضون كان الضابط راسيوس قد شفي من جرحهِ الشفاء التام وهو لا يزال في مصيف لوقيليوس المبني فوق الربوة المشرفة على نهر بيروت ينتظر اوامر الامبراطور ليعود الى فيلقهِ. لكنَّ جلوس القيصر الجديد لم يكن ليسمح لهُ بعد ان يهتمَّ بامر الجيوش ويستدعي الضبَّاط الذاهبين بالرخصة. وعليهِ فكنت تراهُ يقضي أيَّامهُ على جوادهِ تارةً يخرج الى الصيد في غابات لبنان المجاورة لبيروت يسابق فرسان البلد في مراسح الخيل على رؤوس الملإ من الاهلين الذين كانوا يتقاطرون الى معاينة هذه المشاهد البهجة وكان اسم راسيوس شائعاً على ألسنة القوم لما عهدوهُ فيهِ من الفروسيَّة والإقدام وربَّما حكموا لهُ بقصبة السباق على اقرانهِ

وكان لوقيليوس صديقهُ يُسَرّ بما يراهُ فيهِ من انجلاء الهمّ عن قلبهِ وفراهة طباعهِ ولم يَعُد يسمعهُ في معرض الحديث يذكر الفتاة التي فتنت قلبهُ فظنَّ انَّ كلامهُ عمل في صديقهِ وصرفهُ عن عواطفهِ نحوها وميلهِ اليها

لكنهُ خُدع بالظواهر فانَّ جُرح قلب راسيوس لم يلتئم بعد بُرئهِ من سهم البرتيين وانَّما كان كلام لوقيليوس حاك في نفسهِ مدَّة يومٍ او يومين فقط ثم عادت آمالهُ فانتعشت فيهِ بل زادت قوَّتها لكنهُ كان يخفيها عن صديقهِ ويكتمها في طيّ صدرهِ

وكان منذ مساء النهار الذي فيهِ تلاقى بمحفَّة السيِّدة المجهولة على طريق مغارة الحمام قد مرَّ عليهِ عشرون يوماً لم يألُ جهدهُ في لقاء ذلك الموكب وهودج تلك السيدة مرَّة أخرى غير انَّ مساعيهُ كانت تحبط فيعود المساء بخفَّي حنين

فاحبَّ يوماً ان يركض جوادهُ قريباً من دار الورود علَّهُ يرى وراء حواجزها تلك التي استهوت قلبهُ فكان يجد الدار مقفلةً لكنهُ عاين الورود التي تزين المنافذ وهي ناصعة الالوان زاهية تتعطَّر من اريجها الارجاء. فاكتفى بهذا الدليل ليمنّي نفسهُ بالآمال الطيّبة

وكان يخال لهُ انَّ امانيَهُ ستتحقَّق يوماً الَّا انَّ الآلهة لا تمنحهُ مبتغاهُ حتى يكون فاز باكاليل الانتصار بعد حربٍ يشهرها لاعداء رومية على ثغور المملكة فيعود ظافراً وعلى رأسهِ اكليل الغار شارة المنتصرين. وكانت مخيلتهُ تصوّر لهُ حفلة دخولهِ المدينة اذ القوم يتناشدون بمديحهِ والامبراطور يجعل في اصبعهِ خاتم الفرسان. فلا بدع ان ذلك

اليوم سيفتح لهُ ايضاً باب دار الورود فيُحظيهِ صموئيل بيد ابنتهِ يهوديت فيقضي معها عيشة السعادة والرخاء.

تلك كانت افكار راسيوس الضابط تهجس في صدرهِ مدَّة انتظارهِ لاوامر القيصر. وكانت الحرب على وشك الاتقاد وهو لم يدرِ انَّ دارها قريبة منهُ وانهُ سيشتضي سيفهُ الحسام على قومٍ تربطهم ويهوديتَ اواخي الدين والجنسيَّة (ستأتي البقيَّة)

الحَفْريَّات والمستحجرات

للاب غدفريد زمُّوفن اليسوعيّ مدرّس الطبيعيَّات في كليَّة القديس يوسف

وعد المشرق بان ينشر فصلًا في المستحجرات فاسرعنا الى كتابة هذه النبذة وفاء بالوعد فنبيّن اولًا ماذا يراد بالمستحجرات وما هي خواصُّها وشروطها ثمَّ نذكر اصنافها على حسب ازمنتها في الطبقات الجيولوجيَّة

١

اعلم انَّ بعض الكتبة الشرقيين لمَّا نقلوا عن العلماء الجيولوجيّين مقالاتهم في طبقات الارض وما وُجد فيها من آثار الاجسام الآليَّة كالنبات والحيوان والعناصر المتبلورة والموادّ المعدنيَّة اطلقوا على كلّ ذلك اسم المستحجرات وهم يريدون بالاجمال الاجسام الحفريَّة وليست المستحجرات الّا قسماً من هذه الآليَّات وعليهِ لا نرى بُدًّا من تعريف الحفريَّات عموماً قبل ذكر المستحجرات خصوصاً فنقول :

انَّ الحفريَّات (fossiles) تكون على ثلاثة اقسام:

(القسم الاوَّل) منها يشمل البقايا الآليَّة التي حُفظت في قلب الارض دون تغيير في تركيبهِ الكيمويّ الذي كان عليهِ في الاصل مثال ذلك العظام والقرون والاظافير والاصداف وخواشف الاسماك وبيوت السلاحف وقطع الاخشاب. على انَّ هذه الآثار لا تُرى في تركيبها الاصلي تماماً بل يطرأ عليها بعض التغيير اللهمَّ الّا في طبقات الارض العليا. وانَّما يتزايد تغيُّر تركيبها على قدر اختلاف بُعدها عن طبقات الارض الظاهرة